

الأحلام من وجهة نظر وجودية

”دراسة حالة“

د. إيمان فوزي سعيد شاهين

أستاذ الصحة النفسية المساعد

بكلية التربية جامعة عين شمس

ملخص الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى إلقاء الضوء على القيمة التشخيصية والعملية للأحلام من حيث هي مصدر للمعلومات التي يجمعها الأخصائي الكلينيكي والمعالج النفسي لرسم الصورة الكلينيكية للحالات موضع الفحص. ومن خلال دراسة حالة فردية لشابة طلبت الاستشارة النفسية إزاء بعض المشكلات العائلية، تم التعامل مع محتوى الأحلام التي قدمتها في سياق دراسة الحالة الكلينيكية من خلال منظور وجودي فينومينولوجي يتجاوز الرؤى التقليدية لتفسيرات التحليل النفسي، وذلك بما يخدم أغراض التشخيص والعلاج. طبقاً للرؤية الوجودية، تعد الأحلام امتداد لحياة اليقظة، وهي في نفس الوقت تعبير خاص بكل إنسان يعبر به الحالم عن وجوده الفريد في عالمه. لذلك تصبح الأحلام هي بمثابة رسالة يخاطب بها الإنسان ذاته ليوضح بها مخاوفه وطموحاته ومصادر احباطاته إلى آخره من مشاعر وأفكار مما تحول دون الانتباه إليها مشاغل اليقظة، بذلك يمكن أن يكون للأحلام أهمية إضافية تسهم في تعميق فهم الأخصائي النفسي - والحالم نفسه - للشخصية، وتفتح آفاقاً جديدة لاختيارات المستقبل تعزز من إمكانيات التطور والوجود المليء. تلك الرؤية الوجودية الفينومينولوجية تضيف إلى فهمنا للوجود الإنساني، وتضيف إلى إمكانية اكتشاف قدرات جديدة تمكن الإنسان من أن يواجه حياته في الواجهة التي تثري وجوده وتدعم صحته النفسية، وهو ما يتفق مع ما انتهت إليه نتائج دراسة الحالة في هذا البحث.

الأحلام من وجهة نظر وجودية

”دراسة حالة“

د. إيمان فوزي سعيد شاهين

أستاذ الصحة النفسية المساعد

بكلية التربية جامعة عين شمس

تقديم:

بدأ اهتمام البشر بعالم الأحلام منذ بدء الخليقة في إطار بدائي تحكمه روح الأساطير والخرافة، وتفسره الغيبيات وعوالم الكائنات فوق الإنسانية. وظلت الإنسانية لعصور مديدة تعتبر مثل تلك التفسيرات الغيبية لكل الظواهر الغامضة ملاذاً آمناً تحتمي به من مخاطر كل مجهول. واستمرت الأحلام كظاهرة وخبرة بشرية تتمتع بمكانة عزيزة لدى الإنسان بوصفها منحة إلهية يجد فيها من الارتياح والمسرة ما لا تمنحه إياه حياة اليقظة بشقائها وضغوطها، ويجد فيها أيضاً ما يعتبره إرشاداً وتوجيهاً إلهياً يتغلب به على تحديات حياة اليقظة ويواجه به مشكلاتها ويتفادى به مخاطرها.

ثم بدأ التناول العلمي للحلم على يد المعلم الأول: أرسطو، الذي نفى أن تكون الأحلام مبعوثة من الآلهة أو ناتجة عن أفعال خارقة لكائنات فوق إنسانية، حتى أنه ذهب إلى الاعتقاد بأن الحلم يتبع ذات القوانين التي تخضع لها النفس الإنسانية، وعرف الحلم على أنه النشاط النفسي للنائم من حيث هو نائم (سيجموند فرويد، ١٩٨١: ٤٤).

أما الإنجاز الأشهر الذي تحققت به طفرة العلم في فهم ظاهرة الأحلام فكان على يد سيجموند فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسي، الذي اعتبر أن الحلم هو أحد المعطيات الأكثر أهمية التي تطلعنا على خبايا النفس وتكشف لنا عن أعماق أعماقها. وقد ضمن كتابه "تفسير الأحلام" أهم اكتشافات التحليل النفسي عبر تحليل الأحلام وتفسير ألغازها، وكان تأكيد الرئيس على وظيفة الحلم الأساسية وهي تحقيق الرغبات الغريزية التي تحول قيود حياة الصحو دون تحقيقها.

وجاءت محاولات العلماء لتطوير فهمنا للحلم - بعد الإنجاز الفرويدي - على استحياء،

للتعديل أو الإضافة دون تحقيق أي تقدم حقيقي يتجاوز الصرح الشامخ الذي شيده فرويد. إلى أن بدأ التوجه الإنساني في علم النفس يناقش الأسس النظرية للتحليل النفسي ككل، ويتساءل عن إمكانية تطوير التناول الفرويدي للأحلام في اتجاه إنساني الطابع. هذا التوجه بدأ يؤتي ثماره في إطار من علم النفس الوجودي الذي يتبنى الفينومينولوجيا كمدخل منهجي لفهم الظاهرة الإنسانية في كافة تجلياتها. ونظراً لأن المدرسة الوجودية تؤمن - كسائر المدارس ذات التوجه الإنساني - بكلية الظاهرة الإنسانية ووحدة الوجود الإنساني، فإن التناول الوجودي للأحلام لا يضع حدوداً قاطعة تفصل بين حياة النوم وحياة اليقظة، فكلاهما يعكسان ذات الوجود ويكشفان جوانب متعددة لنفس الكينونة (Moja-Strasser, 110: 1997). إلا أن ما يميز الحلم حقيقة هو امتلاك الإنسان من الأدوات النفسية وهامش الحرية في التعبير ما لا يمكنه أن يحصل عليه في يقظته، من هنا تتبع الأهمية الخاصة للحلم من وجهة النظر الوجودية، حيث يحمل من رؤى الحالم وإبداعه ما يطرح إمكانات جديدة للوجود وبدائل رائعة لأكثر المجالات الواقعية جموداً (Bulkeley, 1997: 40).

تحديد مشكلة الدراسة:

تعد الأحلام من المعطيات ذات الأهمية الخاصة في دراسة الحالة الكلينيكية، فهي الطريق الملكي لفهم ديناميات الشخصية ومكوناتها الأكثر عمقاً باقتباس تعبيرات سيجموند فرويد. إلا أن الإضافة التي يمكن أن تعمق من فهمنا للشخصية الإنسانية عبر دراسة وتفسير الأحلام، والتي تم اقتراحها في إطار من علم النفس الوجودي، لم تنل الاهتمام الكافي في الدراسات أو الممارسات الكلينيكية في مصر والوطن العربي. بناءً على ذلك تتحدد مشكلة الدراسة الحالية في محاولة بناء إطار من الفهم الوجودي للأحلام يعزز من قدرة الأخصائي الكلينيكي والمرشد أو المعالج النفسي على تحقيق فهم أفضل للشخصية بوصفها وجود - في - العالم، لا مجرد ديناميات نفسية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى توظيف المنهج الوجودي الفينومينولوجي لفتح آفاق جديدة للدراسة الكلينيكية للشخصية، ويتركز الاهتمام بوجه خاص على الأحلام كأحد أهم معطيات

دراسة الحالة. ويعتمد تفسير الأحلام في دراسة الحالة الحالية على أسلوب التحليل الوجودي الذي لا يقصر فهم الشخصية الإنسانية على استيضاح الديناميات النفسية كمكونات للشخصية، وإنما يتجاوز ذلك إلى استكشاف أبعاد الشخصية الإنسانية بوصفها وجود - في العالم يتجلى في كافة الأنشطة النفسية سواء في حياة اليقظة أو النوم. والحقيقة أن الدراسة الحالية تهدف إلى إضافة إطار أكثر اتساعاً يوظف المنهج الوجودي الفينومينولوجي من أجل تعزيز قدراتنا على تفسير الأحلام بوصفها تعبير فريد عن وجود الإنسان، وهو ما يتضمن تجاوزاً لأساليب التحليل النفسي التقليدية، ويعني البناء على إنجازات التحليل النفسي والإضافة لها، وليس نفيها أو التجاوز عنها.

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة الحالية من كونها دراسة حالة كينيكية تستخدم أسلوباً مطوراً يعتمد على توظيف منهجية فينومينولوجية في إطار وجودي لتعميق فهم الشخصية الإنسانية بوصفها وجود - في - العالم، وذلك عبر تفسير الأحلام التي تعد أحد أهم معطيات دراسة الحالة الكينيكية.

المصطلحات المفتاحية للدراسة:

تتضمن الدراسة الحالية عرضاً لدراسة حالة كينيكية تركز الاهتمام فيها على الأحلام كأحد أهم معطيات دراسة الحالة، والتي أخضعت للتفسير والتأويل في إطار من المفاهيم الأساسية لعلم النفس الوجودي الذي يوظف المنهج الفينومينولوجي في دراسة الحالة. بذلك تتحدد المصطلحات المفتاحية للدراسة الحالية على النحو التالي:

١- الدراسة الوجودية للحالة: في حين يكون التركيز في دراسة الحالة الكينيكية بصورها التقليدية على وصف مشكلات كينيكية محددة ومناقشة أسبابها، بحيث تصبح المشكلة هي محور الدراسة، فإن دراسة الحالة في إطار وجودي يعيد الإنسان الفرد إلى مركز الاهتمام؛ الإنسان ذاته بوصفه وجود - في - العالم. بذلك يكون الاهتمام الأصيل هو بالصورة الكينيكية الكلية التي تضم كل مظاهر هذا الوجود على المستوى المادي والاجتماعي والنفسي الذاتي كما يكشف عنها الإنسان في سياق من كشف خبراته المعاشة في سياق فريد خاص به (Du Plock, 1997: 7). فنظراً لأن الإنسان وجود - في -

العالم، فلا معنى لمحاولة فهمه بمعزل عن سياقه الوجودي، وهو ما يعني أن الاقتصار على الاهتمام بالمشكلة الكلينيكية بدعوى الموضوعية العلمية وبهدف التفرغ للعمل على التصدي لها كمشكلة قد يفقدنا الطريق لحلها في النهاية لأننا نهمل الإنسان ذاته ونهمل وجوده الكلي الذي نشأت المشكلة الكلينيكية في إطاره.

٢- المنهج الفينومينولوجي في دراسة الحالة: يتبنى الوجوديون في دراستهم للشخصية الإنسانية المنهج الفينومينولوجي الذي يعني بالفهم الذي لا تحده التفسيرات النظرية والآراء المسبقة والتحيزات سابقة التجهيز، بذلك تكون الخبرة الإنسانية كما يعيشها الإنسان ويصفها ويعبر عنها هي الهدف، مما يتراجع بالأسباب والتفسيرات النظرية إلى مرتبة أدنى في أهميتها من وجهة نظر الباحث ذي التوجه الوجودي، ويضع الخبرة الحية المباشرة لاشتباك الإنسان بواقعه في مقدمة اهتماماته (May, 1961: 288). والدراسة الحالية تتبنى هذه المنهجية الفينومينولوجية في دراسة الحالة من خلال التركيز على خبرات الحالة موضع الدراسة وتشجيعها على التعبير الدقيق عن تلك الخبرات كما تعيشها وتشعر بها.

٣- الأحلام: تعد الأحلام من المعطيات المهمة في دراسة الحالة، حيث أنها تتميز بالكشف عن أعمق المشاعر والمخاوف والرغبات لدى الإنسان. وقد اعتبر فرويد الحلم مدخلاً مناسباً للكشف عن خبايا النفس البشرية، ولكن ذلك باعتباره إشباعاً رمزياً هلوسياً للرغبات المكبوتة التي لم تجد فرصة للإشباع في حياة اليقظة. إلا أن الوجوديين يخالفون هذا الرأي ويتحفظون على فكرة أن الحلم مجرد وسيلة لتحقيق الرغبات المكبوتة (Moja-Strasser, 1997: 107)، فالحلم من وجهة نظرهم هو تعبير عن ذات الوجود الذي تعبر عنه أنشطة اليقظة، وهو يستخدم إمكانيات لا تتوفر في حالة اليقظة للتعبير عن وجود الإنسان - في - العالم، وبالتالي فإن تفسير الحلم يمكن أن يقدم فهماً أفضل للشخصية، بل ويطرح بدائل ورؤى يمكن أن تفيد الإنسان في صحوه إذا استطاع أن يدرك مغزى الحلم ويقرأ رسالته.

الإطار النظري الذي تستند إليه دراسة الحالة الحالية:

تستند الدراسة الحالية إلى تراث علمي يوصف بأنه حديث نسبياً، يتضمن أبحاثاً ودراسات وخالصة فكر باحثين من ذوي التوجه الوجودي. هذا التوجه يُعرف بالنفور من القوالب النظرية الجامدة، ويتخذ من مبادئ الفلسفة الوجودية منطلقاً لفهم الإنسان. لذلك فإن

التحديات التي واجهت علم النفس الوجودي والعلاج النفسي الوجودي من عقود مضت، والتي تضمنت الاتهام باللاعلمية وعدم التحدد النظري وغياب الآليات المتفق عليها مازالت قائمة (إيمان فوزي، ١٩٩٢: ٢٧٣). والدراسة الحالية هي محاولة لمواجهة تلك التحديات من خلال طرح تصور مرن يستفيد من رحابة الأفق الوجودية لفهم الإنسان بما هو إنسان، ويحدد في نفس الوقت إطار عمل منظم يتيح للمتخصص الدراسة الكلينيكية المتعمقة التي لا تتعارض مع مبادئ المدخل الوجودي الفينومينولوجي. وهذا هو ما نسعى إلى توضيحه في عرضنا للإطار النظري التالي عن تفسير الأحلام من وجهة نظر وجودية.

أولاً: الدراسة الوجودية للحالة الكلينيكية:

تكشف الممارسات الكلينيكية لأصحاب التوجه الوجودي في علم النفس الكلينيكي والعلاج النفسي عن وجود أساس نظري فلسفي يرتبط بالمفاهيم الأساسية للفلسفة الوجودية، هذا الأساس الفلسفي بالتحديد هو ما يشكل الأرضية المشتركة التي تجمع بين الوجوديين وتترك بصمتها الواضحة على ممارساتهم الكلينيكية تشخيصاً وعلاجاً. إلا أنه - في واقع ظاهره التناقض - من المهم أن نلاحظ أن لكل ممارس وجودي فرد ما يميز ممارساته التشخيصية والعلاجية، حتى أن دي بلوك أشار إلى هناك أساليب وجودية للممارسة الكلينيكية بعدد الممارسين الوجوديين (Du Plock, 1997: 4)، والحقيقة أن هذا هو واقع علم النفس الوجودي وتطبيقاته العلاجية، وهو واقع يدل على ثراء المحتوى وتعاضد إمكانات نجاح الممارسة، ولا ينال من قيمة النظرية أو التطبيق من الناحية العلمية. فالتنوع والتعدد يخدم أهداف فهم ظاهرة هي في ذاتها شديدة التنوع وبالغة التعقيد: الإنسان.

وقد اهتم باحثون من ذوي التوجه الوجودي بالعمل على توضيح ومناقشة الإطار المشترك الذي يجمع الممارسات الوجودية في العلاج النفسي، أمثال وايلكس وميلتون (Wilkes & Milton, 2006)، في حين اهتم آخرون بتسجيل خبراتهم المتفردة في تقارير حالات وأساليب مقترحة تم توظيفها كنماذج للممارسات الوجودية في علم النفس الكلينيكي والعلاج النفسي، مثل سكوت كايزر (Kiser, 2004) الذي قدم تصوراً وجودياً للمرض العقلي، أو جوانا ليباري (Lipari, 2008) التي سجلت تقرير حالة استخدمت فيه نموذج تعددي مبني على المفاهيم الوجودية لعلاج مريضة اكتئاب، أو دانييل كروسبي (Crosby, 2008) الذي عرض دراسة حالة استخدم فيها العلاج الوجودي للتعامل مع بعض

الاهتمامات الشخصية والمهنية، أو كل من هوفمان ودياز وسوهولم (Hoffman, Dias & Soholm, 2012) الذين اقترحوا أسلوباً يهتم بالمنحى الوجودي في العلاج النفسي من حيث اعتماده على الممارسات المرتبطة بالأدلة الواقعية لا الاستنتاجات النظرية.

على أي حال، يعد عدم الرضا عن الاتجاه التقليدي السائد لتحقيق الفهم العلمي للإنسان هو ما شجع الوجوديين على تطوير أسلوب لدراسة الحالة يقدم فهم الخبرة الإنسانية في الأهمية على الميل لتفسيرها، وعلى اشتقاق قوانين تعمل على قبولها الظاهرة وتحويلها إلى معادلات جامدة لا إنسانية الطابع. هذا الفهم الذي ندين بفضلها إلى تحليل هايدجر للوجود، والذي يؤكد على أننا لا يمكن أن ندرك كنه الوجود الإنساني في ضوء تفسيرات نظرية أي كان توجهها: ميكانيكي أو بيولوجي أو نفسي. إنما فهم الإنسان لا يمكن أن يتحقق إلا عبر معاشية خبرته الوجودية (Du Plock, 1997: 5). أما الخصائص المشتركة التي تعكسها ممارسات الباحثين والمعالجين الوجوديين رغم التنوع والتفرد، فقد أجملها دي بلوك فيما يلي:

١- الإنسان هو وجود - في - العالم، وهو من حيث المبدأ معطى وجودي لا دخل للإرادة الإنسانية فيه، فالإنسان لا يختار أن يوجد ولكنه يختار كيف يوجد.

٢- نظراً لأن الإنسان وجود - في - العالم، فلا معنى لمحاولة فهمه بمعزل عن سياقه الوجودي.

٣- توظيف الفينومينولوجيا كمدخل لفهم الإنسان، ذلك الفهم الذي لا تحدده التفسيرات النظرية الجامدة ولا الآراء المسبقة.

٤- الاهتمام بالوحدة الكلية للوجود، وتجاوز الميل للثنائيات المتناقضة كالجسد والعقل، أو النفس والبدن، طالما أننا لا نستطيع أن نعيش وجودنا البدني بمعزل عن وجودنا النفسي أو الروحي.

٥- الاهتمام بالوحدة الزمنية الكلية للوجود الإنساني، بمعنى عدم تغليب الاهتمام بالماضي كمحتم للحاضر، ولكن السعي للاهتمام بالماضي والمستقبل كما يعبران عن نفسيهما في الحاضر.

٦- النظر إلى مشاعر القلق الوجودي والذنب الوجودي من حيث هي مشاعر تقترب بحرية الاختيار وتعبر عن الوعي بالمسؤولية، وليس باعتبارها مظاهر عصابية.

(Du Plock, 1997: 6-8)

وبالرغم من أن وجهات النظر الوجودية تفتتح على كل منهجية يمكن أن تضيف عمقاً لفهمنا للخبرة الإنسانية، إلا أن الوجوديين يعتبرون دراسة الوجود الإنساني دون توظيف للمنهج الفينومينولوجي هي دراسة معيبة منهجياً لأنها لن تأتي بنتائج ناقصة وحسب، بل أنها تتجاهل أهم ما يميز الوجود الإنساني بوصفه خبرة حياة يعايشها الإنسان كوجود - في العالم.

ثانياً: التفسير الوجودي الفينومينولوجي للأحلام:

كما سبقت الإشارة، فإن الفهم الفرويدي للأحلام وتفسيرها في ضوء مبادئ التحليل النفسي كان بمثابة طفرة حقيقية انتقل بها علم النفس إلى مرحلة جديدة من عمق الفهم العلمي لحقيقة الإنسان. إلا أن اقتصار تناول التحليل النفسي للأحلام بوصفها مجرد تحقيق محرف لرغبات غريزية كامنة أفقد ظاهرة الحلم طابعها الإنساني الكلي، وحولها إلى تعبير مشوه عن الواقع. والأخطر من وجهة نظر الوجوديين هو أن هذا التناول كرس للنزعة الاختزالية من خلال نزعه لكل قيمة تشخيصية عن المحتوى الظاهر للحلم وافترض أن المعنى ينتمي فقط للمحتوى الكامن، وأن هذا المعنى الخفي لا يمكن الوصول إليه إلا بواسطة فنيات التحليل التي تعتمد على التداعي الطليق وفض رموز الحلم وتعقب - في الطريق العكسي - لآليات عمل الحلم، وبطبيعة الحال فإن تحفظات الوجوديين على هذا التناول فاقت تقديرهم لإنجاز التحليل النفسي، ودفعتهم لتطوير أسلوب مختلف لتناول الأحلام كمعطى من معطيات دراسة الوجود الإنساني (Moja-Strasser, 1779:108). إن الرفض الوجودي لاعتبار أن الحلم تحقيق لرغبة فشل الحالم في تحقيقها في يقظته ليس نفياً لهذه الحقيقة، وإنما هو رفض لاعتبارها التفسير الوحيد لظاهرة الحلم. "قال الأحلام أثناء الليل تقوم بكل ما يمكن أن تقوم به العمليات النفسية أثناء اليقظة، بل وكثيراً ما تكون في ذلك استمراراً يسد الثغرات في العمليات الدفاعية أثناء اليقظة ويقوم عنها بما عجزت عن أن تقوم به، بحيث تتحقق الاستمرارية ويتحقق التجانس بين يقظة النهار والنوم بأحلامه في الليل" (صلاح مخيمر، ١٩٨٢: ٢٣).

أما أهم ما يميز التناول الوجودي الفينومينولوجي للأحلام فهو الاهتمام بما يوفره الحلم من فرص لاكتشاف وخلق المعنى عبر التعامل مع محتوى الحلم، فالتناول الوجودي الفينومينولوجي للحلم هو عملية إبداعية يتم من خلالها إعطاء التقدير المستحق للإبداعية

الحالم وحكمته، ويحتفظ للحالم في نفس الوقت بقدرته للسيطرة على وجوده، وذلك عبر ما يتكشف له من إمكانات الفعل وبدائل الواقع اللانهائية التي يبتكرها بنفسه في سياق حلمه (Moon, 2007:132). والحقبة أنه لا يمكن أن نتاح للإنسان القوة أو الإمكانية لتجاوز قيود الواقع كما يمكن أن يحدث في الحلم، فأحلامنا تحتنا على أن نتخلّى عن الماضي وأن نبدأ من جديد، وأن نعثر على أساليب جديدة للتكيف، وأن نبدأ في تبني طرق جديدة لحل صراعاتنا (Moon, 2007:129). من هذا يتضح الاختلاف بين أسلوبى التحليلين الوجوديين في تناولهم للأحلام وتقديرهم لطبيعة وظيفتها، فاهتمام الوجوديين لا ينصب فقط على الديناميات النفسية التي يكشف عنها تفسير وتحليل المحتوى الظاهر للحلم، وإنما بالأحرى ينصب اهتمامهم على مسألة كيف يلقي هذا الحلم الضوء على الوجود المتفرد لهذا الشخص في عالمه، وكيف أن سياق الحلم يكشف طبيعة الإنسان بوصفه كينونة تقدم على الاختيار والتوجه نحو هدف، فالسياق حركة وحقبة مباشرة وحضور مليء (Dias, 2013).

السؤال الذي يفرض نفسه الآن هو كيف يمكن للوجودي أن يخوض مع الحالم تلك التجربة الكاشفة المرشدة التي تجعل من الحلم أداة للفهم والتغيير الواعي؟ وما هو الدور الذي على المعالج أن يقوم به في تلك الرحلة الوجودية؟ إن المفاهيم الوجودية التي تنبذ القولية النظرية تتيح هامشاً رحباً من حرية التناول لمحتوى الحلم، وهو ما يتضح في تلك الاختلافات بين الممارسين الوجوديين في اختيارهم لأسلوب التفسير الوجودي للحلم، فعلى سبيل المثال نجد موستاكاس يهتم بالأفكار التي يحتوي عليها الحلم ويساعد صاحب الحلم على أن يركز تلك الأفكار ويفلترها وصولاً إلى تحديد الآفاق الإبداعية لأفكار الحالم، وهي التي يبني عليها اختيارات المستقبل ويطور أهدافه في ضوءها. تلك العملية ذات الخطوات الخمسة التي يطلق عليها موستاكاس تسمية الاختزال الفينومينولوجي (Moustakas, 1994:118). وفي حين يركز موستاكاس على الأفكار يتركز اهتمام مون على الصور التي يحتوي عليها الحلم بوصفها إمكانات قابلة للتحويل إلى إبداعات فنية يستخدمها كأحد فنيات العلاج بالفن art therapy (Moon, 2007). وتهتم موجا-ستراسر بالإبداع أيضاً ولكن في صورة بحث عن بدائل لواقع غير مشبع، حيث يتلمس صاحب الحلم طريقه عبر محتوى الحلم ليستبدل واقعاً جديداً بواقع لا يرضيه (Moja-Strasser, 1997). أما ليتونوفسكي فيركز اهتمامه على الحالة المزاجية المصاحبة لأحداث الحلم باعتبار أنها تكشف حقيقة

وجود الإنسان - في - عالمه على نحو أكثر وضوحاً مما تكشفه الأفكار والأحداث (Letunovsky, 2004). وبالرغم من كل هذا التنوع، فإنه يمكننا أن نلاحظ الخصائص التي تشكل الأساس المشترك لأسلوب تناول الأحلام في ذلك السياق الوجودي الثري. ولعل نموذج خطوات التعامل مع مادة الحلم التي قدمتها موجا - ستراسر يعرض مثلاً لما يقوم به المعالج الوجودي في سياق التعامل مع الحلم، وهو كالتالي:

- بعد الاستماع للحلم على المعالج أن يطلب من صاحب الحلم أن يعيد صياغته باستخدام الفعل المضارع ليتمكن من معايشة أجواء الحلم من جديد ويستدعي الحالة المزاجية المصاحبة له.

- الخطوة التالية هي استكشاف أبعاد الوجود - في - العالم كما تظهر في الحلم، وهي الأبعاد الجسمية والاجتماعية والنفسية والروحية، حيث أنه من المفيد أن نستكشف كيف يعيش الحالم علاقاته على تلك المستويات، وأي الجوانب يظهر فيها انفتاحاً أو انغلاقاً.

- يطلب من صاحب الحلم أن يلخص حلمه في أهم المحتويات بالنسبة له، بذلك يمكن تركيز الحلم في صورة رسالة يرسلها إلى ذات، ورؤية لحياته ووجوده على نحو أكثر صفاءً حالت دونه مشاغل اليقظة.

- من المهم أن يسترجع صاحب الحلم المشاعر التي صاحبت أحداث حلمه كي يستطلع موقفه حيال محتويات الحلم، ويستجلي مدى رضاه أو كيفية تفاعله مع تلك الأحداث.

- مع كشف معاني الحلم، يطلب من صاحب الحلم أن يحدد علاقة هذا المعنى بحياته في كل مستويات وجوده وعبر الزمن الماضي والحاضر والمستقبل بحيث يتمكن من تلقي الرسالة الوجودية existential message التي يحملها حلمه.

(Moja-Strasser, 1997: 110-111)

وقد وقع الاختيار على هذا النموذج للاسترشاد به في دراسة الحالة الحالية، وذلك مع احترام الخصائص المميزة للأسلوب الوجودي الفينومينولوجي الذي يتمتع بدرجة كبيرة من المرونة تتيج التكيف لظروف الحالات المختلفة التي تتم دراستها.

دراسة الحالة:

تم تصميم دراسة الحالة في ضوء المنهجية الوجودية الفينومينولوجية التي سبق مناقشتها في الإطار النظري. ومع مرونة الإطار الوجودي، فقد حرصت الباحثة على الالتزام

ببعض الضوابط التي تعد من خصائص التناول الوجودي الفينومينولوجي في التعامل مع معطيات دراسة الحالة الكلينيكية. أما موضع اهتمام الدراسة الحالية: تفسير الأحلام من وجهة نظر وجودية، فيخضع للضوابط التالية:

١- لا يسمح للمعالج بتأويل الحلم، فهي مهمة صاحب الحلم نفسه لأنه الوحيد القادر على استرجاع المشاعر والأحاسيس التي مرت بخبرته في سياق الحلم، ومن ثم فهو الوحيد القادر على تفسيره.

٢- الأهمية الأولى تعطى للحالة المزاجية الأساسية basic moods، ولا يكتفى بالاهتمام بأحداث الحلم.

٣- ألا يكون الهدف هو البحث عن معنى المشاعر أو أسبابها، أو التركيز على المعنى الكامن للحلم في إهمال للمحتوى الظاهر له، وإنما الهدف هو اختيار المشاعر البديلة التي توجه اختيارات المستقبل على نحو أكثر إيجابية، فبدلاً من الانغماس بالقلق - على سبيل المثال - يختار الفرد أن يستبلة برباطة الجأش مع التهيؤ لمواجهة المخاطر والوعي بأبعادها، وهي الوظيفة الإيجابية التي يمكن أن يتطور القلق في اتجاهها.

(Letunovsky, 2004: 303)

تقرير الحالة:

المعطيات الأساسية للحالة (ت): هي شابة في منتصف العقد الثالث من العمر، ذات تعليم متميز ومن خلفية ميسورة الحال، وتعمل بوظيفة جيدة وتحقق نجاحاً أدى إلى تحسن وضعها الوظيفي بصورة ملحوظة وسريعة. إلا أنها لا تشعر بالرضا في عملها وتعتقد أن أداءها الوظيفي يمكن أن يكون أفضل بكثير، وتصرح بأنها لا تركز في عملها بصورة كافية، وكثيراً ما تخطئ في تحديد أولوياتها مما يؤثر سلباً على مستوى إنجازها.

تعتبر (ت) أن أكبر مشكلات حياتها هي توتر علاقتها بأبها وفقدانها الكامل للثقة في حكمة الأم، وقد بدأت العلاقة بينهما في التوتر عقب انفصال الأب عن الأم وتحطم الأسرة المكونة من الأب والأم و (ت) وأخت تصغرها بعامين، وهي تقيم مع والدها أحياناً ومع جدتها معظم الوقت، ونادراً ما تقيم مع الأم والأخت الصغرى لأنها لا تترتاح لتسلط الأم ومراقبتها في كل أفعالها. أما تصورها لذاتها، فتري أنها تعاني من الصراع بين ميلها الأصل للالتزام بأخلاقيات صارمة ومعتقدات دينية متشددة، وبين رغبتها العارمة في التمرد

على التقاليد التي ترى أنها بالية ومتخلفة. هذا الصراع بين ميلين نقيضين - على حد تعبيرها - يورقها باستمرار ويحرمها الشعور بالرضا عن الذات مهما حققت من نجاح. لا تعتقد (ت) أن لديها "مشكلة نفسية"، ولكنها ترغب فقط في التعرف على ذاتها بصورة أفضل حتى تتحسن اختياراتها في حياتها العملية والشخصية، وتستطيع أن ترتب أولوياتها في الحياة، وأن تحقق في النهاية ما تدعوه بالرضا عن النفس.

عندما طلبت منها أن تكتب أحلامها وتأتي بها لنتناقش فيها، باعتبار أنني أرى في الأحلام مدخلاً مهماً لفهم الذات، أجابت بأنها "لا تحلم على الإطلاق تقريباً"، وعندما أخبرتها بأنها تحلم بالتأكيد ولكنها فقط لا تتذكر أحلامها، أجابت بأنها ستحاول. وفي اللقاء التالي فوجئت بكم هائل من الأحلام كتبته باللغة الإنجليزية مبررة ذلك بأنها لا تجيد الكتابة باللغة العربية، وبعد أن ترجمت الأحلام راجعت معها الترجمة حتى نتأكد من عدم وقوعي في أخطاء تغير من محتوى الحلم أو تفسد صورته كما تتذكره (ت)، وقد وقع اختيارنا على بعض من تلك الأحلام بناء على اختيارها، حيث اعتبرت أنها أحلام "مهمة" وتذكرها جيداً.

الحلم ١

"في هذا الحلم كنا أشخاص يبدو كأننا من جنسيات مختلفة، لأنه كانت هناك بنت ترتدي قبعة فرنسية مضحكة وتتورط ظريفة. كنا نقف في طابور ننتظر خارج سجن في انتظار مقابلة شخص ما. أمي كانت في السجن لا أعرف لماذا. كنت حزينة واستيقظت باكياً. لم يكن سني يزيد عن العاشرة عندما حلمت بهذا الحلم".

هذا حلم قديم يرجع إلى مرحلة الطفولة الوسطى، وهي الفترة التي انفصل فيها والداه، تعبر (ت) عن حزنها العميق لأنها تعتقد أن والدتها مظلومة ولا تستحق السجن: هي مظلومة في حياتها فعلاً، الأحداث غريبة من وجهة نظرها لكن المشاعر قوية ولا تزال مؤثرة. العلاقة بواقعها: أرغب بالفعل في أن تتحسن علاقتي بأمي، أنا متعاطفة معها، كل ما في الأمر إنني لا أثق في آرائها.

الحلم ٢

"هذا حلم عن أختي. حلم حزين. كارين كانت ستتزوج من شخص لا يستحقها. وأنا لا افهم لماذا ستتزوجه فلم يكن غنياً ولا جيد المظهر وكان يبدو كشخص غبي لعين! كنت غاضبة جداً وعندما ذهبت لأحدث مع أمي وجدتُها هادئة كأن الأمر عادي. السبب الوحيد

الذي كانت كارين ستدمر حياتها من أجله هو أنها تتق في أمي للغاية. طالما استمعت لما تقوله أمي ودائماً تأخذ بنصيحتها. كانت ترجع لها عند كل مشكلة، وعندما جاء وقت الزواج لم تتشكك في صلاحية اختيارها بالرغم من أنها في أعماقها لم تكن سعيدة. ولكنها تعتقد أن أمها تحبها ولن تفعل شيئاً يؤذيها. ولكن في هذه الحالة كانت أمي على خطأ. ولأن كارين تتق فيها فقد أخذت أسوأ قرار في حياتها. كل هذا بسبب أنها أطاعت أمي. كنت غاضبة جداً وتعبسة".

حكم آخر تصدره (ت) على ضعف قدرة الأم على الوصول إلى اختيارات صائبة. الحلم تأكيد على أن رأيها في أمها له ما يبرره. مشاعر الغضب والتعاسة كما تراها (ت) شيء طبيعي، ولا تريد أن تغيرها، لا تريد أن تكون ابنة مطيعة، فهي تشعر أن هذا سيؤدي بها إلى إتباع نصائح مدمرة. هي مثل أختها تتنازعها الرغبة في الاحتماء بالأم، ومخاوفها من أن يؤدي بها هذا إلى تدمير حياتها.

الحلم ٣

"كنت في مكان يشبه الأقصر، ولكنه ليس مدينة الأقصر. بل يشبه الهند بكل تلك الألوان والمباني الجميلة. كنت مع مجموعة ولكني كنت وحيدة، متفردة. كنت متحمسة لالتقاط الصور. كنا نتسلق ذلك المعبد الذي يبدو كالقلعة، وكان هناك كلاب وثعابين ميتة كانوا يبدون غير حقيقيين بالمرّة، كانت الثعابين ملتصقة بالكلاب. وجدتني أطفو فوق تلك الجثث كما لو كنت أطيّر، لا أعرف إن كان أحد ساعدني أم أنني فعلت ذلك بنفسني دون مساعدة. كان هناك رجل أسود يحمل حقيبة على ظهره قد يكون هو من ساعدني. وصلت للمكان الذي يوجد فيه الجميع. أخذت كاميرتي الصغيرة - التي تستخدم لمرة واحدة - والتقطت صوراً قليلة، ولم استطع إلتقاط أي صور أخرى. أخرجت كاميرتي الأخرى. أردت أن أرى كيف تعمل الكاميرات، فأدركتها لتواجه عيناوي والتقطت صورة مقرية لعيناوي. أعتقد أنني كنت هناك في مهمة لأنهم كانوا يعاملونني معاملة مختلفة إلى حد ما. ولكن عندما دخلت لذلك المكان بدا كبيت عادي، وكان هناك أشخاص جالسون على كنبه. رأيت زميل من العمل خارج من الحمام، ولكني كنت أفكر أن هذا شيء محزن لأن الموجودين كانوا أيتام، كانوا أطفال وحيدون وحزينين".

تصرح (ت) بأنها تحب السفر والانتقال من مكان لمكان، رؤية العالم والاستمتاع بكل

شيء جميل. وعن الجثث المشوهة تقول (ت) أنها أشياء غير حقيقية: الثعابين والكلاب كانوا أشبه باللعب البلاستيك، فلم تكن خائفة منها ولم تستغربها. ولكنها تعترف بأن الكاميرا التي توجهها لنفسها هي أشبه بمراقبة الذات، إلا أن هذا لا يضايقها ولا تريد أن تغيره. أما كونها في مكان غريب وبعيد فلا يشعرها بالغربة، بل بالتميز: المعاملة الخاصة كأن لي أهداف أخرى من الزيارة وأني بنت السفير مثلاً.

الحلم ٤

"أنا على جزيرة، وحدي تماماً، وخلف كهف. كان المنظر جميلاً، كنت أستطيع رؤية الماء والشمس من الكهف. ولكنني كنت أحتمي بالكهف كما لو كان تحول ليصبح نافذة أطل منها. كان الماء رائع الزرقة".

تري (ت) أن وجودها في مكان بعيد ومعزول شيء مريح لا يضايقها، بل أنها تراه شيء رائع وجميل.

الحلم ٥

"كنت على جزيرة، مبنى/ قلعة/ فندق في وسط اللامكان. كانت هناك فتيات كثيرات من جنسيات مختلفة. كلهن جميلات. كنت هناك وحدي. شعرت أننا كنا كلنا هناك لسبب ما. في الليل كانت هناك عاصفة كبيرة، أشجار النخيل كانت تتمايل بعنف، والمطر كان غزيراً. ثم انتقلت إلى أثر (ممكن يكون كمبودي)، واحد من الآثار الجميلة، كنت وحدي تماماً أتجول في المكان الخالي. كان كبيراً ولكن كان لطيفاً".

الجزيرة المعزولة الجميلة مرة أخرى، وهي تجد في اللامكان شيئاً محبباً، حتى العواصف تتقبلها: لم أكن خائفة، كان شيئاً عادياً تماماً، ولكن أعتقد بأن مشاعري أيضاً لم تكن إيجابية.

الحلم ٦

"كنت في مدرستي القديمة. كانت الملاعب واسعة وكنت هناك وحدي. ظللت أتجول حول الفصول، في المكان حيث كنت تلميذة في الصف الثالث الإعدادي. خرجت من المبنى وتجولت لفترة أخرى في الملعب. ذهبت للجانب الآخر من المدرسة، كانت كبيرة!! ذهبت إلى حيث كنت تلميذة في الابتدائي، ربما في الروضة. رأيت الناظر في ذلك الوقت. ذهبت لتفقد المسرح الذي كانت تأتي منه الموسيقى. في الطريق إليه استطعت أن

أرى الأطفال يلعبون. وفي طريق العودة توقفت عند الأوتوبيسات ورأيت مزيد من الأطفال يلعبون. فيما بعد كانت كل الأتوبيسات تستعد للتحرك، حاولت أن أجد أوتوبيسي ولا أعرف إن كنت نجحت في ذلك، رأيت الأوتوبيس يغادر وأنا خلفه بالضبط".

تصرح (ت) بأنها بالفعل تشعر بالحنين لأيام المدرسة، وتتلمس في مدرستها القديمة آثار من السعادة البريئة، ولكنها ترى أن مشاعرها في الحلم مختلطة بين الرضا والقلق والتردد. لا تعرف ما إن كانت تريد العودة للمنزل وتخشى أن "يفوتها الباص"، أم أنها تريد البقاء في المدرسة فلا تهتم بأن الباص تحرك بدونها.

الحلم ٧

"تبدأ الأحلام وأنا أتلسل إلى مبنى حزب سياسي، شيء يشبه الإخوان على ما يبدو. كنت أستمع لقراراتهم. كنت مع أشخاص آخرين. فجأة أصبح هناك خطر وأشخاص يطاردوننا كانوا يرتدون ملابس عسكرية. كانوا يطاردونني وكان الظلام يزداد، وبدت كمنطقة حرب. كنت أقترب من مترو الأنفاق، أحد الأشخاص الذين كانوا يطاردونني تحول إلى وحش، وحش ضخم!!! كنت خائفة واستمررت في الهروب ثم الهروب عبر القطارات".

المشاعر في هذا الحلم يغلب عليها القلق والخوف، ولكنها أشبه بالواقع، مخاطر مجهولة المصدر مما يزيد من مشاعر الخوف، هذا الخوف يتطور ليتحول إلى رعب. (ت) تشعر بالإرهاق الشديد من المطاردة التي تزداد سوءاً بتحول من يطاردها إلى وحش ضخم. الإرهاق والرعب بقيا معها حتى استيقظت.

الحلم ٨

"مطاردة أخرى، ضابط شرطة يطاردني بسيارته، ثم خرج من السيارة واستمر في مطاردتي. كنت متعبة".

تصرح (ت) بأن المطاردات تتكرر كثيراً في أحلامها، فهي تشعر بأنها مهددة دائماً من شخص أو شيء يطاردها. المشكلة هي استمرار الشعور بالمطاردة، فهي لا تنتهي ولو نهاية سيئة وينقضي الأمر: لا أحد ينجح في أن يخطفني مثلاً، لذلك يظل الخوف مستمراً والإرهاق والتعب أيضاً.

الحلم ٩

"تحولت أجسام أصدقائي وأفراد عائلتي إلى حشرات ضخمة. وكان شيئاً عادياً. ثم انفجروا جميعاً كما لو كانوا ماتوا، وخرج منهم سوائل حمراء وسوداء".
رغم أن الحلم يبدو دموياً فاجعاً إلا أن (ت) عبرت عن شيء مختلف تماماً: لم يكن شيئاً مخيفاً ولا مقززاً، بل كان شيئاً جميلاً، كل تلك الألوان كأنه عمل فني رائع، وكنت مستمتعة بمشاهدة الألوان.

الحلم ١٠

"أحب هذا الحلم، واستيقظت منه سعيدة. حلمت أنني كنت في مول تجاري كبير. ولم تكن النقود هي وسيلة التعامل. لم أكن محتاجة نقود لأشتري ملابس ولكن قطع من اللبان. كان هذا أجمل يوم في حياتي. كان لدي لبان مقطع إلى مئات القطع الصغيرة واشترت كل ما رغبت فيه".

سعادة طفولية بالغة، لقد أحببت (ت) هذه الرغبة الطفولية وسعدت بها: حصولي على كل شيء أريده دون أي صعوبة... كأني أنجزت.

مناقشة محتوى الأحلام:

تناولت مناقشة الأحلام محاولة اكتشاف علاقة محتواها بالواقع الفعلي لحياة (ت)، هي ترى أنها هي هي، في صحتها كما في أحلامها، تسعد بالجمال ولا تنفر من العزلة بل تعتبرها شيئاً مميزاً، تشعر بالتهديد من المجهول، ويرهقها القلق ويربك حياتها ويؤثر سلباً على أحكامها، فتختل أولوياتها وتتسرع في اتخاذ القرارات ثم تكتشف أنها أخطأت. كما أنها - رغم محاولاتها لاستعادة العلاقة الطيبة بأمرها - ما زالت ترى أن اقترابها منها قد تكون له نتائج سلبية.

أما عن تقييمها لمعنى الأحلام، فهي لا تضيق بالميل للعزلة ولكنها تؤكد أنها تعتبرها فترات من الراحة عندما يرهقها الصدام مع الأصدقاء والمقربين. كما أنها غير راضية عن الفجوة في علاقتها بأمرها وترى ضرورة أن تعمل على إصلاح ما فسد بينهما دون أن تضطر لاتخاذ قرارات تحت تأثير الأم ما لم تكن راضية عن هذه القرارات ومقتنعة بها. أما القلق المستمر واستشعار الخطر فقد تقبلت فكرة الوظيفة التحذيرية للقلق ووافقت على ضرورة أن تحاول تلقي تلك الرسالة لتكتشف ما تعتبره ضعفاً في داخلها وتطور من قدراتها لتتغلب عليه.

في النهاية تقبلت (ت) فكرة أن تعايش وجودها كما تعكسه أحلامها وتحاول أن تتلقى رسائله وتستفيد منها. وقد أظهرت رضا عن كثير من القرارات التي استرشدت فيها بما أضافته أحلامها من توضيح لمعانٍ كانت بعيدة عن إدراكها في خضم حياتها المزدهمة بمشاغل العمل وتوتر العلاقات مع المقربين منها.

الخلاصة ومناقشة نتائج دراسة الحالة:

يؤكد بالكلي (Bulkeley, 1997: 49) على أن الفضل يرجع إلى ميدارد بوس في ترسيخ الفكرة الوجودية القائلة بأن كلاً من حياة اليقظة وحياة النوم نمطان مختلفان لوجودنا في ارتباطه بالعالم، دون انفصال بين الشعور واللاشعور كما لو كانا نقيضان؛ فحياة النوم وحياة اليقظة، والشعور واللاشعور هي كلها مظاهر لوجودنا - في - العالم. هذا التصور العام يؤدي بنا إلى إدراك أبعاد الفهم الوجودي لظاهرة الأحلام من حيث التكوين، والوظيفة، والتفسير. فمن حيث التكوين formation تأتي الإجابة الوجودية على سؤال كيف يتكون الحلم بأن حياة الحلم هي امتداد لخبرات اليقظة، فالحلم لا ينشأ بمعزل عن الشعور، وإنما يتشكل عبر بناء نفس الشخصية التي تعيش خبرات اليقظة. أما وظيفة الحلم function فتتضمن إمكانية تقديم رؤى تشخيصية قيمة، ولكنه أيضاً يحمل طاقات خلاقية تؤدي بالحالم إلى اكتشاف قدرات أخرى فيما وراء القدرات التي يدركها في صحوه. وأما تفسير interpretation الحلم فيتأسس على حقائق ووقائع الحياة الشخصية ويرتبط بها ويعبر عنها، فالتفسير الوجودي لا ينقب عما يرمز إليه الحلم، وإنما عما يمثله الحلم من حالة للوجود - في - العالم يعيشها الحالم ويعايشها.

لقد عبرت موجا- ستراسر (Moja-Strasser, 1997: 110) في نقاط محددة عن الرؤية الوجودية الفينومينولوجية للأحلام على النحو التالي:

- تفسير الأحلام هي عملية استكشاف إبداعي فريد، وكل حالة هي حالة إبداع لا يتكرر.

- لا يوجد نموذج موحد يمكن توظيفه لتفسير الأحلام، فالأحلام ليست نتيجة قوى سحرية ذات طابع يمكن تعقب أسبابه، ولكنها نتاج فكر إبداعي تحرر من قيود اليقظة.

- الحلم هو ما هو عليه وليس بديلاً رمزياً لشيء آخر.
- حالة الحلم واليقظة ليستا متفاضلتان تماماً، ولكنهما جانبان لنفس الحالة الوجودية.
- نحن لا نرى أحلامنا، بل نحن أحلامنا. فأحلامنا تعبر عن وجودنا شأنها شأن سلوكنا وأفعالنا في يقظتنا.

- الحلم صناعة الحالم، لذلك فإنه الأعم بمعناه، وعليه أن يستكشف دلالات حلمه بنفسه، ودور المعالج ليس تفسير الحلم أو تأويله، بل عليه أن يكون شريكاً co-explorer في عملية الاستكشاف يتبع خطى الحالم ولا يقودها.

تلك الرؤية الوجودية الفينومينولوجية تضيف إلى فهمنا للوجود الإنساني، وتضيف إلى إمكانية اكتشاف قدرات جديدة تمكن الإنسان من أن يوجه حياته في الوجهة التي تثرى وجوده وتدعم صحته النفسية، وهو ما يتفق مع ما انتهت إليه نتائج دراسة الحالة في هذا البحث.

فقد أشارت نتائج دراسة الحالة إلى إيجابية وظيفة الأحلام عند تناولها من وجهة نظر وجودية فينومينولوجية، وذلك عبر الدور الذي تلعبه في تعميق فهمنا للوجود الإنساني وما ينبني عليه من توجيه لقراراتنا وأفعالنا في المستقبل. إن الاختصار على تفسير الحالم في صورة اصطلياد - يكاد يكون تعسفياً - لمعانٍ كامنة ترتبط بمكونات غريزية وحفزات "خطرة" ورغبات مكبوتة... هي كلها أفعال تدعم الميل لتجنب الإنسان مواجهته مع ذاته، وتحرمه القدرة على تقييم واقعه أو التعامل معه بإيجابية. "إن وظيفة الحلم ليست فقط كما ادعى فرويد: تحقيق الرغبة بما يتيح حراسة النوم، بل وظيفة الحلم هي بالأحرى الدفاع بكل الوسائل الممكنة ضد تلك التوترات التي عجزت ساعات اليقظة وأيامها عن أن تبلغ بها إلى الخفض، أو إلى الوعي المكتمل بها كسبيل وحيد للتحكم بها والسيطرة عليها". (صلاح مخيمر، ١٩٨٢: ٤٠). في النهاية يمكننا - مع التحليل النفسي - أن نتناول الحلم بأسلوب نقسم فيه شخصية الحالم إلى أجزاء، ونفرض عليه نظامنا التفسيري قسراً، ونراقبه وهو يحاول أن يتواءم مع توقعاتنا - أو أن نساعد على اتخاذ موقف أصيل يعيش فيه خبرة الحلم كجزء من حياة يعيشها شخص كامل مكتمل الوعي والإرادة (Dias, 2013).

فهل يعني هذا أن نتجاوز كل ما تم إنجازه عبر التحليل النفسي في تفسير الأحلام اقتراباً من العمل على اكتمال الوعي ووحدة الوجود الإنساني؟ الإجابة هي النفي بالتأكيد، فإذا كان لنا أن نحقق بالفهم الوجودي للأحلام تقدماً يعمق استفادتنا من الظاهرة فإن هذا يكون في

سياق من الإضافة والإثراء لا النفي والإلغاء. وإذا كانت هناك بعض الأصوات الوجودية تنادي بنزع كل قيمة عن مكتشفات التحليل النفسي فإن هذا يعد مخالفة للتوجه الإنساني الذي تنتمي له الوجودية، ذلك الذي ينادي بوحدة الوجود الإنساني. بعبارة أخرى، إن رفض أنصار علم النفس الوجودي لما يعرف بآليات عمل الحلم يعني التحفظ على أن يكون المحتوى الكامن فقط هو الذي ينطوي على المعنى، بل أنه يمكن أن يشارك بوجه من أوجه الدلالة لا أن ينفرد بها. فمن الخطأ على سبيل المثال أن ندعي بأن الحلم لا ينطوي على أي قيمة رمزية كما يفهم من عبارة مون : الحلم هو الحلم، ولا توجد معاني كامنة (Moon, 128:2007) فهي مبالغاة فجة. ولكن الوجود الإنساني بما هو عليه من تعقيد وثراء يسمح بتعايش ما هو شعوري إلى جانب ما هو لاشعوري. والمثال التالي من دراسة الحالة التي قامت بإجرائها لوتشيا موجا-ستراسر (Moja-Strasser, 1997: 114-115) دليل على أن الرمزية تتواجد جنباً إلى جنب مع التعبير الإنساني عن الوجود - في - العالم: " أقود سيارتي وأنت (المعالجة) تقودين سيارة خلفي، أسير بالسيارة في طريق مزدحم جداً، الطريق غاية في القبح ويبيع بالسيارات". وقد قدم صاحب الحلم تفسيره بأن السيارة هي حياته، وأنه يعلم أنه صاحب السيطرة عليها، لكنه يشعر بالضيق لأنه لا يعلم إلى أين يمشي، ولا يرتاح للإحساس بأن المعالجة تراقبه. وقد أسفرت المناقشة بينها وبين صاحب الحلم عن تغييرات إيجابية في أسلوب تعامله مع مواقف السيطرة على مجريات حياته. ولكن بأي حق يمكننا اعتبار أن السيارة هي حياته إذا رفضنا مبدأ أن الرمزية جزء من تكوين الحلم؟

الأولى لنا حقيقة هو أن نهتم بوحدة الوجود الإنساني ونعترف بتعايش جميع مستويات ذلك الوجود جنباً إلى جنب إذا كان لنا بالفعل أن نحقق استفادة ومردوداً إيجابياً مما يطرحه الفكر الوجودي في علم النفس والعلاج النفسي. وإذا كانت البداية مع فرويد تركز لمقولة أن الأحلام هي الطريق الملكي إلى معرفة اللاشعور، فإن الإضافة الإيجابية التي يمكن أن يضيفها المدخل الوجودي الفينومينولوجي تضيف إلى فهمنا ما يعدل العبارة إلى: الأحلام هي الطريق الملكي إلى معرفة الوجود - في - العالم بكل جوانبه وبكل مستوياته.

المراجع:

١. إيمان فوزي شاهين. (١٩٩٢). دراسة نقدية للأسس النظرية للعلاج الوجودي. رسالة دكتوراه. كلية التربية، جامعة عين شمس.
٢. سيجموند فرويد. (١٩٨١). تفسير الأحلام. ترجمة مصطفى صفوان ومصطفى زيور. القاهرة: دار المعارف.
٣. صلاح مخيمر. (١٩٨٢). أحلام لا تحقق رغبة. القاهرة: الأنجلو المصرية.
4. Bulkeley, Kelly. (1997). **An Introduction to the psychology of dreaming**. Praeger, Westport, CT.
5. Crosby, Daniel. (2008). Existential treatment of personal and career concerns: A case study. **International Journal of Psychology and Psychotherapy**, Vol. 2(2): 1-6.
6. Dias, Jason. (2013). Towards an Existential Dreamwork. <http://www.saybrook.edu/newexistentialists/posts/02-19-13>
7. Du Plock, Simon. (1997). **Case studies in Existential psychotherapy and counselling**. John Wiley & Sons Ltd.
8. Hoffman, L., Dias, J. & Soholm, H. C. (2012). Existential – Humanistic therapy as a model for Evidence-based practice. http://www.academia.edu/1843926/Existential_Humanistic_Therapy
9. Kiser, Scott. (2004). An existential case study of madness: Encounters with devine affliction. **Journal of Humanistic Psychology**. Vol. 44: 431-454.
10. Letunovsky, Vjacheslav. (2004). **Analysis of the basic moods in dreaming and further work with them**. Existential Analysis, 15(2): 298- 306.
11. Lipari, Joanna. (2008). The case of Paula: An existentially based treatment approach to chronic depression. **International Journal of Existential Psychology and Psychotherapy**. Vol.2(1): 1-6.
12. May, Rollo R. (1961). The context of psychotherapy. In: Contemporary Psychotherapies, by Morrison I. Stein (Ed.). New York: The Free Press of Galencoe.
13. Moja-Strasser, Lucia. (1997). The Climber – Dreaming and its

- therapeutic value. In: " Case studies in Existential psychotherapy and counselling", by Simon du Plock (Ed.). John Wiley & Sons Ltd.
14. Moon, Bruce L. (2007). Dialoguing with Dreams in Existential Art Therapy. **Journal of the American Art Therapy Association**, 24(3): 128-133.
15. Moustakas, Clark. (1994). **Existential psychotherapy and the interpretation of dreams**. New York: Jason Aronson.
16. Wilkerson, Richard Catlett (1997) .Existential - Phenomenology and Dreams. Part of the ED Dream Education Series Electric Dreams 4(6). www.dreamgate.com/dream/articles_rcw/ed4-6rcw1.htm (July 29, 1997)
17. Wilkes, R. & Milton M. (2006). **Being an existential therapist: An IPA study of existential therapist's experiences**. Existential Analysis, Vol. 17(1): 71-83.

